الأستاذ : د. محمد بك

جامعة باجي مختار – عنابة –

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المستوى : أولى ماستر

المقياس : العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية

محاضرة الأسبوع الرابع لشهر ماي2020م

العلاقات الاقتصادية الجزائرية المشرقية

ملاحظة : أتناول في هذه المحاضرة العلاقات الاقتصادية بين الجزائر ومصر ، ولتنبيه كلمة مغربي تعني الجالية المغاربية بصفة عامة .

قدر لأبناء الجالية الجزائرية الذين استقروا في المدن المصرية قبل العصر العثماني أو الذين وفدوا إليها خلال هذا العصر ، أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة في أوجه النشاط الاقتصادي المصري طوال العصر العثماني ، سواء أكانت نشاطات تجارية داخلية أو خارجية ، أم كانت نشاطات صناعية وحرفية أو استثمارية ، وقد كان دور أبناء الجالية الجزائرية في هذا المضمار دورا ايجابيا ومؤثرا .

1- الوكالات والأسواق كمنظمات تجارية مغربية : تم إحصاء 123 وكالة تجارية ومهنية كانت قائمة في القاهرة خلال الفترة العثمانية ، واتضح أنه لا تكاد تخلو وكالة في القاهرة والإسكندرية من وجود طائفة من التجار المغاربة وأصحاب المهن الصناعية ، بل إن كثيرا من هذه الوكالات سيطر عليها المغاربة سيطرة كاملة ، مثل وكالة الزيت ببولاق فقد كانت بمثابة منظمة لتصنيع الزيت وتجارته ، كذلك مثّلت وكالة الماوردي منظمة تجارية مغربية ضخمة للمتاجرة في مختلف أنواع السلع ، وأيضا وكالة الجراكسة التي كانت متخصصة في تجارة البن ، ووكالة الكعكيين التي اشتهرت ببيع الدهانات ، ووكالة السكر ببولاق ووكالة المرجان بالقاهرة ، ووكالة المغاربة بخط طولون ووكالة فتح الله الناضوري بالإسكندرية ، وفي وكالات الإسكندرية الأخرى التي أصبحت تمثل منظمات مغربية تجارية وكالة سنان باشا ووكالة الحدادين وغيرها .

أما عن الشكل الثاني من أشكال المنظمات التجارية المغربية في داخل المدن المصرية فقد تمثل في الأسواق مثل سوق طولون وكان التجار المغاربة يمارسون في هذا السوق مختلف أنواع التجارة ، وكان نفوذهم قويا في أسواق الجملون وسوق الشرب بخط الغورية ، واشتهروا بتجارة الأقمشة الهندية المستوردة عن طرق وكلائهم في البحر الأحمر يقومون بتوزيعها داخل أسواق مصر ، ويصرفون جزء منه إلى بلدان المغرب العربي وأوروبا ، ومن الأسواق الأخرى التي كان المغاربة لهم فيها السيطرة سوق السلاح وسوق الحمزاوي

وسوق الصاغة وسوق باب الشعرية وسوق مصر القديمة . وكذلك كان الوضع بالنسبة لأسواق الإسكندرية حيث يعرف أشهر أسواقها باسم سوق المغاربة وكذلك أسواق المنصورة ورشيد ودمياط .

2- السلع التجارية :

يمكن ملاحظة أن هذه السلع كانت تشمل : سلع مغربية أو منتجات مغربية جلبت من بلدان المغرب العربي ، لتباع في مصر أو تصدر الى بلدان المشرق العربي الأخرى . سلع شرقية عربية شامية أو حجازية أو يمنية أو عراقية لتباع في مصر أو تصدر إلى أوروبا أو بلدان المغرب العربي ، سلع هندية أو أفريقية لتباع في مصر أو تصدر الى أوروبا أو الى البلدان العربية الأخرى ، وأهم السلع التي ترد في القائمة هي :

الأقمشة الحريرية ، الأقمشة الهندية ، الأقمشة الصوفية ، الشيلان المغربية ، الفوط ، المحارم ، الأحزمة ، الأحرمة ، العطور ، الزيوت ، الزيتون ، الصابون ، الايات الرومي ، الملابس القطنية ، البخور ، الأحجار الكريمة ، الحلي ، المرجان ، البن السكر ، الجلود ، الحبوب ، النحاس المصنوع ، الحديد ، الأسلحة ، الطرابيش .وقد كان لهذه السلع أهمية بالغة في حياة المجتمع المصري آنذاك ، حيث نجد عند استعراضنا لهذه السلع أنها كلها استهلاكية ، لا يستطيع أي مجتمع الاستغناء عنها فكلها من الضروريات وليست من الكماليات ، ولذا فإنها عادت بالربح الوفير على المشتغلين بالمتاجرة فيها.

وقد اتسع نشاط التجار المغاربة وبخاصة تجار الأقمشة وتجار البن وأصبحوا يقومون بعمليات الاستيراد والتصدير بين موانئ مصر وبلاد الحجاز واليمن والموانئ الهندية من جانب ، وبين موانئ مصر على البحر المتوسط والموانئ المغربية والأوروبية والشامية ، وأصبح لهؤلاء التجار وكلاء مقيمين في هذه الموانئ لتصريف أمورهم نيابة عنهم ، وبذلك اتسعت دائرة نشاطهم التجاري ، ولم تعد قصرا على النطاق المحلي بل شملت النطاق الخارجي مما مكنهم من جمع ثروات ضخمة .

3 – الاستثمارات :

كانت المجالات التي اتجه التجار الى استثمار فائض رأسمالهم فيها : مجال التزام الأراضي الزراعية ، اسقاطا ، ورهنا ، ومجال شراء العقارات سواء أكانت معدة للسكن أم كمحال تجارية ووكائل وخانات .

لجأ الأمراء المماليك الى كبار التجار ليقترضوا منهم الأموال بضمان التزاماتهم الزراعية ، فكانوا يقومون باسقاط هذه الالتزامات للتجار نظير الأموال المقترضة ، وحتى تظل الالتزامات بأيديهم يقومون في نفس الوقت باستئجارها منهم مرة ثانية ، وتصبح قيمة الايجار بمثابة الربح الذي تدره الأموال المقترضة باسم اسقاط الالتزامات ، ولذا فإن معظم التجار أصبحت بأيديهم التزامات عديدة وفي مناطق مختلفة ، دون أن يذهبوا الى مواقع الالتزامات أويرونها ، وهي واردة في سجلات الرزنامة الرسمية ومزاد الديوان العالي .

أما المجال الثاني الذي ولجه التجار لاستثمار الفائض من رأسمالهم التجاري فهو مجال امتلاك العقارات بمختلف أنواعها في القاهرة والمدن المصرية الأخرى ، فاشتروا الدور والخانات والوكائل والحمامات والدكاكين والمخازن والحواصل ، لاستعمال بعضها الاستعمال الخاص ، وتأجير البعض الآخر نظير إيجار سنوي أو شهري حسب العقد الذي يتم بين الطرفين المؤجر و المستأجر، ومن المفيد أن هؤلاء المالكين قاموا بوقف

الكثير من هذه العقارات اما على أنفسهم حال حياتهم ، ثم على ذريتهم من بعدهم أو على أوجه البر وطلبة العلم أو رواق المغاربة أو قراءة القرآن الكريم أو على فقراء المسلمين والحرمين الشريفين .

المغاربة والأنشطة الصناعية والحرفية :

استطاع أبناء الجالية المغربية منذ مطلع العصر العثماني في مصر أن يلجوا أبواب معظم الحرف المهنية والصناعية التي كانت سائدة في مصر آنذاك ، وفي مختلف المدن المصرية بل أنهم نقلوا إلى مصر حرفا جديدة واحتكروا الاشتغال بها واستطاعوا عن طريق احتكارهم لهذه الحرف أن يكونوا رأسمال ضخم .

الحرف الصناعية وراتباطها بالتجارة : وتمثلت في عصر الزيوت ، صناعة الصابون ، غزل وصناعة الأقمشة ، صناعة الأحرمة ، صناعة الشيلان المغربية ، صناعة العطور ، صناعة السكر، صناعة القفاص ، صناعة الحصر ، صناعة الأدوات الحديدية ، دباغة الجلود ، صناعة الأدوات الخشبية ، النجارة ، صباغة الملابس ، صناعة المجوهرات والأحجار الكريمة ، صناعة السروج ، صناعة القزازة ، صناعة المخلل ، صناعة الملابس الصوفية والقطنية البلدي منها والرومي وحياكتها ، وصناعة المنسوجات الكتانية بأنواعها والسجاد.

تلك هي أهم الصناعات التي اشتغل بها المغاربة في القاهرة والإسكندرية والمدن المصرية الأخرى . وقد كان المغاربة المتخصصون في هذه الصناعات يتدرجون في مراتب هذه المهن الطائفية طبقا لنظام الطوائف من صبي في الصنعة إلى استا إلى المعلم ، حتى وصل الكثير منهم إلى مشيخة الطائفة سواء في الحي أو في المدينة . وكان لأبناء المهنة الواحدة من المغاربة شيخهم ونقيبهم ووكيل لهذا الشيخ الذي يشرف على اشتغالهم بهذه المهنة ، ويحصل الضريبة المفروضة على الطائفة ، ويفض المنازعات التي تحدث بين أفرادها ملتزما بقواعد المهنة . لقد استطاع أصحاب ورش انتاج السلع المختلفة تكوين ثروات ضخمة نتيجة للأربح التي درتها عليهم عملية انتاج هذه السلع وأسلوب تسويقها وبدأوا يستثمرون فائض رأسمالهم هذا في نفس المجالات التي استثمر كبار التجار فائض رؤوس أموالهم زراعة وعقارات وغيرها .

الحرف غير الصناعية وحرف الخدمات: وتتمثل في الدلالة ، الطحانة ، القصابة ، البياضة ، الصرافة ، القبانة ، التراسة ، الدولبة في المقاهي ، البوابة ، العتالة ، النظارة بالحمامات ، الحلاقة ، الغربلة ، الحياكة ، اللبانة ، الشواية ، الحلوانية ، النحاتين ، النشارين ، والسمسرة ، معداوية الميناء . وأصبحت هذه الحرف شبه وراثية طبقا للنظام السائد وكانت إدارة هؤلاء الحرفيين إدارة شبه ذاتية ، وعموما فإن المشتغلين بهذه الحرف كانت دخولهم منها تكفي معاشهم وأسرهم ولم يكوّنوا منها ثروة كبيرة ، وكان معظمهم لا يملك عقارات خاصة بهم .

أهم المراجع :

- أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 -1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية. نسخة الكترونية
- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ج2 . نسخة الكترونية
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517- 1798). نسخة الكترونية